



الجهاد هذه الكلمة التي ما أن تنطق بها في زماننا أمام أحد البسطاء وربما غير البسطاء إلا وتجده يلتفت خشية أن تكون إحدى الحوائط تُبَرِّزُ أذنها لتسمع ما سُيُقال بعد هذه الكلمة ثم يقول في تسلل لك أن تجاريه: "نعم أفهم أنك تقصد جهاد النفس" فلا يسعك حينها إلا أن تنهي الكلام معه شفقة به.

هذا الخوف من مصطلح "الجهاد" عند إطلاقه ليس سوى تعبيراً عن واقع مليء بالوهن والهوان، حقيقة صادمة تبرهن لك عن معنى الغنائية الذي جاء في حديث ثوبان رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: "يُوشِكُ أَن تَدَاعِيَ عَلَيْكُمُ الْأَمْمُ مِنْ كُلِّ أُفُقٍ، كَمَا تَدَاعِيَ الْأَكْلَةَ إِلَى قَصْعَتِهَا، قِيلَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ! فَمِنْ قِلَّةٍ يَوْمَئِذٍ؟ قَالَ لَا، وَلَكُمْ غُنَاءٌ كَفُثَاءُ السَّيْلِ، يُجْعَلُ الْوَهَنُ فِي قُلُوبِكُمْ، وَيُنْزَعُ الرُّعْبُ مِنْ قُلُوبِ عَدُوِّكُمْ؛ لِحُكْمِ الدُّنْيَا وَكَرَاهِيَّتِكُمُ الْمَوْتَ" [ صحيح الجامع / 8183 ]

ولهذا الخوف أسبابه ومنها تركتناول أحكام الجهاد كما ينبغي دون إفراط وإيهام الكثير من طلبة العلم والدعاة لأنفسهم ولمن حولهم أن الحديث في هذا الباب ليس أوانه ولا ضرورة لتفنيد أحكامه، فإذا سُئل أحدهم في مسألة تتعلق بأحكام الجهاد يُمْعِنْ ويدور في فلك بعيد وربما في آخر الكلام يُلْقِي خلاصة ما في جعبته بقوله: "الله يعطيك العافية لا تضرنا بهذا الحديث" ليسكتك سكوتاً كسكته!

ومن الواقع المرير في تناول أحكام "الجهاد" تضييق الأفهام ومحاصرتها بأن الجهاد إنما هو مجاهدة النفس وبذل المال فقط فرغم أن مجاهدة النفس جهاد وبذل المال جهاد ولكن هذا التعمد في محاصرة الأفهام يدفعها دائمًا إلى الانحراف في الفهم زيادةً أو نقصاناً فيتبع أناساً على غير هدى من الله.

ومن الواقع المرير أيضًا فيما يتعلق بقضية "الجهاد" تناول الغزوات والفتוחات في السير كقصص تروى بشكل أسطوري كقصص الخيال العلمي دون تناول الفوائد وال عبر منها بتنفيذ وتوضيح للنشأ، وكذلك دون بث روحها في الأجيال فربما حملنا هذه الفوائد وال عبر وبثثنا هذه الروح لجيل يفتح الله على بيده القدس ولم لا؟!

وأطفال اليهود يربون في مدارسهم منذ حادثة أستانهم على حلم دولة إسرائيل الكبرى من النيل إلى الفرات، ألسنا أحفاد الصحابة الفاتحين رضوان الله عليهم أجمعين والأولى بتربية النشأ على هذا؟!

"الجهاد" هو خطوات الأمة الثابتة لاستعادة عزتها فالقدس والأراضي المسلوبة جميعها لن تعود إلا بجهاد وقد علم أهل المفاوضات أن أعدائنا قد حطموا كل طاولات المفاوضات على رؤوسهم ورؤوسنا، فأعداؤنا لا يفهمون سوى لغة القوة.

أعداء الأمة يعلمون أن إقبال الناس على دينهم الذي ذروة سلامه "الجهاد" هو الفيصل الفارق لصالحنا في أي صراع بيننا وبينهم، أعداء الأمة لا ترهبهم سوى {وَأَعْدُوا لَهُمْ مَا أَسْتَطَعْتُمْ مِنْ قُوَّةٍ وَمِنْ رِبَاطِ الْخَيْلِ تُرْهِبُونَ بِهِ عَدُوُّ اللَّهِ وَعَدُوُّكُمْ وَآخَرِينَ مِنْ دُونِهِمْ لَا تَعْلَمُونَهُمُ اللَّهُ يَعْلَمُهُمْ} [الأنفال: 60]

"الجهاد" خطوات مدرسة يقتصر أهلها الأجر بإخلاص وفق الهدى، لا تحملهم رعونة طائشة ولا يقعدهم وهن مهين هم الخُلُص المجتبين من كل جيل، يحمون الثغور ويحافظون على ما تبقى للأمة من قوة وكرامة وعزّة ويتحملون الكلام الملتوى من فاقدى البصيرة ممن لا يدركون حقائق الصراع بين الحق والباطل وممن أدركوا وتجاهلوا إدراكهم.

كن جندياً للحق مربطاً في خنادقه تجاهد نفسك وترغمها على الخير وتبدل من مالك ونفسك حتى إذا استدعيت يوماً لبذل نفسك في سبيل الله تكن أسرع الناس إجابة، وأخلص الناس سعيًا وأثبتت الناس خطى تجهز فإن معارك الدفع تسبق دائمًا معارك الطلب تجهز حتى تسمع نداء "حي على الجهاد".